الباب السابع

الجهاد فى الفقه الإسلامى

« بين الماضى والحاضر »

الباب السابع
الجهاد فى الفقه الإسلامى
بين الماضى والحاضر

بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر يتحرك تاريخ أمتنا الإسلامية ، والمسلمون الذين عاشوا فى مكة ثلاثة عشر عامًا لا يرفعون سلاحًا ، هؤلاء المسلمون ، لم يعرفوا الجهاد سيوفًا قاهرة ، ولا غارات ظافرة ، وإنما عرفوا الجهاد عقيدة حضارية تخضع لموازين وأخلاق، ولها مكانها الذى لا تتجاوزه (بالسيف) ومكانها الفسيح (بالكلمة) و(الفكرة) و(السلوك) و(الحسبة) التى تمتد إلى الوقوف مع كل معروف ، وفى مواجهة كل منكر ، ومن الغريب أن يحاول بعضهم وضع كلمة الجهاد فى (إطار) محدود وأن يلونها بظلال دموية، وأن يجعلوا بعض المسلمين يتحدثون عن (الجهاد) وكأنهم يتحدثون عن (منهج مضى) . . وعن فترة من التاريخ (الوسيط) ، لها ما لها وعليها ما عليها .

لكن (الجهاد) فى الإسلام غير ذلك . . إنه صفحة مشرقة فى تاريخ الإنسانية كلها وإنه (قانون) عظيم يمثِّل ـ (جزءًا من المنهج الإسلامى) يجب أن نعتزَّ به ، وإنه ـ فى النهاية ـ سبيلنا إلى الإصلاح فى الدّاخل والنصر فى الخارج .

الجهاد فى اللغة والاصطلاح :

الجهاد مصدر جاهد ، أى بذل الجهد الكثير فى قتال عدوه ، فهو فى اللغة بذل الطاقة والوسع والمشقة ، وهو فى العرف والاصطلاح بذل الجهد فى قتال الكفار والمرتدين عن الإسلام ، ويطلق ـ أيضًا ـ على مجاهدة النفس والشيطان والفسَّاق .

فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين والعمل بها وتعليمها للناس ، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتى به من الشبهات ، وما يزيِّنه للناس من الشهوات ، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد ، والمال واللسان والقلب ، ومجاهدة الفساق تكون باليد واللسان ثم القلب ، على الترتيب المذكور .

وأدلة وجوب الجهاد كثيرة من الكتاب والسنة ، وقد ألَّف فيه كثيرون ، على رأسهم الإمام المجاهد الفقيه عبد الله بن المبارك الذى كان له شرف تأليف أول كتاب عن (الجهاد) فى تاريخ الإسلام ، إذ قام بتأليفه فى حدود سنة (١٧٠هجرية) وتوفى رحمه الله شهيدًا سنة (١٨١هـ) .

وقد أورد ﷺ اثنين وستين ومائتى حديث تتَّصل بفضل الجهاد ووجوبه والصلاة فيه وصوره المختلفة، وذلك فى كتابه المذكور سابقًا (كتاب الجهاد) . . وبعد ابن المبارك، توالت الكتب فألَّف فى الجهاد (ثابت بن نذير القرطبى المالكى) وألف فيه (أبو سليمان أحمد الخطابى) ، و(أبو بكر محمد الطيب الباقلانى) ، و(أبو محمد قاسم بن على ابن هبة الله) المعروف بابن عساكر ، و(عزّ الدين بن الأثير) ، و(عماد الدين إسماعيل) المعروف بابن كثير . . . وغير هؤلاء من الأقدمين والمعاصرين كثير .

شروط الجهاد وحكمه :

وشروط الجهاد تخضع لحالة المسلمين العسكرية ، فإن كانوا فى موقف قوة وغزو وتأديب لغيرهم من الناكثين لعهودهم أو المحاربين بالقوة لنشاط الدعاة المسلمين ، أو المنتهكين لحقوق المسلمين الموجودين فى بلادهم . . إلى غير هذا من الصور التى تجعل القتال يدور على مسافة بعيدة من بلاد الإسلام تزيد على مسافة القصر التى يقول بها بعض الفقهاء وهى فى حدود ثمانين كيلو مترًا (ستة عشر فرسخًا) .

إذا كانت حالة المسلمين كذلك، فشروط الجهاد هى: الإسلام، والبلوغ ، والعقل، والرجولة ، والطاقة على القتال ، والتدريب السابق عليه ، وضمان معيشة من يعولهم من العاجزين ، والحرية ، وإذا ندب الحاكم أحدًا للجهاد ـ فى هذه الحالة ـ وجب عليه الطاعة ، ويقوم الحاكم بسدّ عوز من يعولهم ، ويلزم الحاكم القادر بالتدريب وتوفير السلاح والزاد والراحلة ، سيارة كانت أو طائرة .

وإذا ندب نسوة لخدمة المرضى أو للطعام وجب عليهنّ الوفاء فى ظل حماية الحاكم لهن، وحبَّذا أن يكون معهن محارم ، وقد اختلف الناس فى المدة التى إذا بلغها الإنسان ولم يحتلم حكم ببلوغه ، فقيل سبع عشرة ، وقيل ثمانى عشرة ، وقيل خمس عشرة، وهذا مذهب الشافعى ، وقد استدل له بهذا الحديث، وهو إجازة النبىّ ﷺ ابن عمر فى القتال بخمس عشرة سنة ، وعدم إجازته له فيما دونها ، ونقل عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه لما بلغه هذا الحديث جعله حدًا ، فكان يجعل من دون الخمس عشرة فى الذرية ، والمخالفون لهذا الحديث اعتذروا عنه بأن الإجازة فى القتال حكم منوط بإطاقته والقدرة عليه ،وإن أجازه النبى ﷺ لابن عمر فى الخمس عشرة لأنه رآه مطيقًا للقتال ، ولم يكن مطيقًا له قبلها لا لأنه أراد الحكم على البلوغ أو عدمه .

أما إذا كانت حالة المسلمين أدنى من ذلك بأن غزوا فى ديارهم لأقل من مسافة القصر المذكورة ، أو غزوا فى عقر دارهم أو انتهكت مقدساتهم كالمسجد الأقصى

والمسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ أو مكة أو المدينة . . . إذا كانت حالة المسلمين كذلك فإنه يتجاوز عن معظم هذه الشروط ، بل يجب على الجميع الجهاد ، ذودًا عن الدين والوطن والمال والعرض ، ومن لم يستطع الجهاد بالسيف أو المدفع جَاهَدَ بالمال أو بالكلمة المؤمنة .

وحكم الجهاد ـ فى الأصل ـ أنه فرض كفاية ، إذا قام به من يكفى سقط عن سائر الناس ، وذلك بإجماع الفقهاء ما لم يحضر العدوّ فيتعين على كل أحد ، وفرض الكفاية ما قصد حصوله من غير شخص معين ، فإن لم يوجد إلا واحد تَعيَّن عليه ، ومعنى الكفاية هنا نهوض قوم يكفوننا فى قتالهم ، بحيث إذا اشتبكوا مع العدوّ قدروا على صدّه ودفعه ، ويكون فى الثغور من يدفع العدوّ عن أهلها ، فإذا لم يقم البعض بهذه الكفاية عن الكل . . أثم الجميع . . وقد يكون الجهاد سُنَّة وتطوعًا إذا كان هناك من يكفى فى القيام به ، وذلك باتفاق الأئمة ، وقال الوزير وغيره : اتفقوا على أنه يجب على أهل الثغر أن يقاتلوا من يليهم من الكفار ، فإن عجزوا ساعدهم من يليهم ، ويكون ذلك على الأقرب فالأقرب ممن يلى الثغور ، ويصير فرض عين إن لم يكن هناك عذر ، وكان العدو قريبًا .

ويتفق الفقهاء على وجوب الجهاد إذا ندب السلطان أحدًا أو إذا حضر المسلم صفَّ القتال ـ ولو صدفة ـ أو إذا حضر العدو ببلده ـ كعرب فلسطين ومسلمى أفغانستان ـ أو احتيج إليه لخاصية فيه ـ كمهندس وطيار وطبيب ـ وأمثالهم .

الجهاد فريضة ووظيفة حضارية :

يرى بعض الفقهاء أن الجهاد هو الركن السادس من أركان الإسلام ، وأيًا كان الرأى ، فالجهاد من أركان الإسلام ، وهو (فرض) عين أو كفاية ـ فى الأصل ـ ويكون مندوبًا فى حالة قوة المسلمين ، ويوضح لنا (تطور تشريع الجهاد) ، ومعانى (مصطلح الجهاد) وأدلته من القرآن،الدكتور محمد بن على الصرفى (مدير كليات البنات بالدمام) فيقول : إن الجهاد فى الإسلام فريضة على كل المسلمين رجالاً ونساءً ، وذلك إذا هوجم المسلمون فى عقر دارهم ؛ لأن الإسلام لا يرضى لأتباعه المذلة والهوان ، ولذا جاء الأمر للمسلمين بإعداد أسباب القوة والمنعة عند الجهاد ، فقال تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

والإسلام لا يعتمد فى الأمر بالجهاد على التشريع وحده ، بل يجمع بينه وبين

التربية ، فهو إلى جانب الأوامر لا يغفل وازع الضمير الحىّ ، وقد مرَّ الجهاد فى الإسلام بثلاثة أطوار :

الطور الأول : الإذن للمسلمين بالجهاد ، من غير إلزام لهم به ، قال الله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [الحج] .

الطور الثانى : الأمر بقتال من قاتل المسلمين ، والكف عمن كف عنهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) ﴾ [البقرة]

أما الطور الثالث : فكان الأمر بجهاد المشركين كافة ، ليتحقق الخير لأهل الأرض كلهم ، وليزول دعاة الإلحاد والضلال عن طريق الدعوة الإسلامية ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الانفال : ٣٨] .

أما فضل الجهاد ، والدعوة إليه ، والحث عليه ، والترغيب فيه ، فقد ذكرها القرآن الكريم فى آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة] ، وقال تعالى أيضًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) ﴾ [الصف] .

وتنوعت كلمة الجهاد فى القرآن ، فهى لم تقتصر على معنى الحرب والقتال فقط ، بل تعدى معناها ليشمل معانى جهاد النفس ، والصبر على الأذى فى سبيل الله ، يدل على هذا قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) ﴾ [الفرقان] .

وما دمت قد تحدثت عن مكانة الجهاد فى الإسلام ، فإنّنى أؤكد أن المسلمين الأوائل فهموا حقيقة الجهاد ، وتمثَّل هذا الفهم فى حياتهم العملية ، ولذا نراهم آثروا الحياة الأخرى على الدنيا الفانية ، ولم تستطع زخارف الحياة أن تشدهم إليها ، فهذا

النابغة الجعدى يخرج غازيًا فى سبيل الله ، فتحاول زوجته أن تثنيه عن عزمه ، وتغريه بالبقاء إلى جانبها ، فليس لها غيره ، ولكنها تفشل فى ذلك ، ونراه يقول لها ، وكله عزم وإصرار :

باتت تذكرنى بالله قاعدةً والدمع ينهل من شأنيهما سيلاً
يا بنت عمى كتاب الله أخرجنى كرهًا ، وهل أمنعنَّ الله ما فعلا
فإن رجعتُ فربّ الناس يرجعنى وإن لحقت بربى فابتغى بدلا
ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرنى أو ضارعًا من ضنًى لم يستطع حولا

وإلى جانب أهمية الجهاد كفريضة ضرورية لإعلاء كلمة الله وردع الأعداء ، وحماية دار الإسلام - والحديث للدكتور محمد رشاد خليل (رئيس قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الرياض - الملك سعود) فإن هناك وظيفة أخرى للجهاد لها أهمية بالغة، وهى الوظيفة النفسية والاجتماعية ، ذلك أنه بمقتضى سنة الله فى الإنسان فردًا وجماعة، فإن عمران الأرض يقوم على الحيوية والحركة ، وهذه الصفات إنما يكتسبها الكائن الحى من المغالبة والمدافعة التى رتَّبها الله تعالى كسنّة للأحياء كى يستمر سعيهم فى الأرض .

ولقد تنبه علماء الاجتماع الحديث إلى أهمية هذه الظاهرة،أى ظاهرة المغالبة، وعلى أساسها قسَّموا المجتمعات إلى ساكنة (إستاتيكية) ومتحركة (ديناميكية) واعتبروا ذلك التقسيم كشفًا غير مسبوق ، مع أنه أمر سبق أن قرره الله تعالى فى كتابه على هيئة ما يُسمى اليوم بالقانون العلمى ، فنبه إلى أن المغالبة أمر ضرورى للتحرك الاجتماعى عامة حتى لا يفسد بالسكون فقال : ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ** ﴾ [البقرة : ٢٥١] . كما نبه إلى أن المغالبة أمر ضرورى لتحريك المجتمع المسلم خاصة فقال: ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا** ﴾ [الحج : ٤٠] . من ذلك نفهم أن من وظائف الجهاد الأساسية تحريك المجتمع المسلم ، عن طريق المغالبة التى تمنع من السكون .

ومن أبرز الظواهر التى تكشف عنها دراسة المجتمعات الإنسانية أن الجماعات المتحركة بالمغالبة هى الجماعات المستعلية على غيرها بصرف النظر عن الحق والباطل ، والخير والشر ، والصواب والخطأ ، وتلك ظاهرة تمثل قاعدة مطردة فى التاريخ الإنسانى ليس لها شواذ ، فالأقدر على المغالبة ، هو الأجدر بالسيادة ، حتى ولو كان على باطل.

لذا فإن الله تعالى كان يرسل أنبياءه جميعًا مزوّدين بهذا الاستعداد للمغالبة حتى لا تهاب ولا تتردد ، ولا تنكص عن المواجهة تحت أى ظروف ، يستوى فى ذلك الأنبياء الذين أقاموا دولاً أو أولئك الذين دعوا ولم يستجب لهم ، أو دعوا واستجيب لهم ، فليست المغالبة هى السيف فقط ، وإنما هى التحدى والإصرار والمجابهة والصبر على الأذى وتلك كلها أنواع ودرجات من المغالبة .

وقد أرسل الله محمدًا ﷺ ومكّن له فى الأرض باعتباره خاتم النبيين ، وفرض عليه وعلى أمته الجهاد، والأهبة له فى كل حال من الحرب والسلم ، والخوف والأمن، والقوة والضعف، ولم يقبل منها أعذارًا للقعود، وشدد عليها النكير فى آيات صريحة.

ولقد كان إهمال الأمة المسلمة للجهاد أى المغالبة وإخلادها إلى السكون ـ كما يرى الدكتور محمد رشاد خليل ـ هو بداية التضعضع والضعف والهزيمة فى كل جانب من جوانب حياتها : الهزيمة العسكرية ، والهزيمة العقلية ، والهزيمة الأخلاقية ، والهزيمة الاجتماعية ، وذلك لأن أخلاق المغالبة تشع فى كل اتجاه ، وفى كل زاوية فى الفرد والمجتمع ، كما أن أخلاق السكون تنضح نضجها المشؤوم فى كل جانب أيضًا .

لذا فإن أية محاولة للنهوض بالأمة المسلمة تتجاهل هذه الحقيقة الربانية والتى هى سنة الله التى لا تبديل لها ، فإن نصيبها هو الفشل ، ولذا فإن النهضة العقلية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . . . إلخ ، لن تقوم إلا إذا استردت هذه الأمة روح المغالبة ، ولن تستردها حتى تؤدى هذه الفريضة المضيعة ، والتى بدونها لن تكون شيئًا ؛ لأن الذين لا يغالبون عدوهم ، لا يغالبون ضعفهم ، ولا يغالبون شهواتهم ، ولا يغالبون مستبديهم ، ولا يغالبون ظروف الحياة التى تستبد بهم ، ولا يغالبون المشكلات التى تعترض طريقهم ، ذلك أن الموتى لا يصنَعُون الحياة .

وهكذا يتجلى لنا (الجهاد) فلسفة عامة للتغيير، أو هو حسب تعبير أحدهم (ثورتنا الدائمة) التى نقاوم بها الغارة العالمية الدائمة علينا وعلى عقائدنا ، إنها غارة لم تتوقف منذ ظهر الإسلام وحتى اليوم ، ولابُدَّ للجهاد ألا يتوقف ، حتى لا يتعطل دولاب حضارتنا ، وندخل فى قائمة الكائنات المنقرضة التى لم تستطع مقاومة عوامل الفناء .

الجهاد عقيدة قتالية :

من الجدير بالذكر أن الجهاد فى سبيل الله له جانب مصيرى ، إنه العقيدة القتالية للمسلم ، كما أن لكل الشعوب عقائد قتالية تقف بها فى وجه مغتصبيها وفى مجال نشر حضارتها والحفاظ على خصائصها .

والجهاد كما يحدثنا اللواء محمد جمال الدين محفوظ (الكاتب العسكرى الإسلامى المعروف) فلسفة متكاملة تتناول شخصية المقاتل المجاهد وتكوينه النفسى والوجدانى وسلوكه الاجتماعى ، وتنمى لديه الاتجاهات النفسية الإيجابية التى تحركه ـ ذاتيا ـ نحو الاستبسال فى القتال فى سبيل الحق وإعلاء كلمة الله ، يقول الله تعالى : ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ** ﴾ [الحج : ٧٨] .

وتتميز عقيدة الجهاد بوضوح الهدف فإن الغرض من الجهاد ليس غرضًا ماديًا أو خطًا دنيويًا وليس اغتصابًا للحق أو عدوانًا على أحد وإنما هو إعلاء لكلمة الله وردع للعدوان، ويدرك المجاهد ـ وهو يقاتل فى سبيل الله ـ أنه يخوض حربًا عادلة شريفة المقاصد والوسائل ، وهكذا تتميز النظرية الإسلامية الجهادية فى غرس العقيدة القتالية بالخصائص التالية :

أولاً : السبق بتقرير نظرية الدوافع التى تحرك الإنسان عن إيمان واقتناع وليس عن جبر أو قسر ذلك؛ لأن الحرية والاختيار والاقتناع من أصول الدعوة الإسلامية، وإذا كان العالم قد عرف نظرية العقيدة والدوافع ، وتخلى عن النظرية الجبرية التى سادت إلى عهد قريب ، فإن نظرية العقيدة عند الإسلام (موقف مبدئى) منذ أربعة عشر قرنًا .

ثانيًا : ربط الإسلام العقيدة العسكرية بالعقيدة الدينية : وإذا كانت الدول التى تأخذ بنظرية العقيدة المحددة تربط عقيدتها العسكرية بعقيدتها السياسية فإن مزايا النظرية الإسلامية تبرز فى ثبات العقيدة واستقرارها ؛ لأن (الدين) أثبتُ وأكثر دوامًا من السياسة، كما تبرز فى النبل والشرف والعدل فى الغاية والوسيلة ؛ لأن السياسة غالبًا ما تخضع للأهواء والأطماع والمصالح ، كما تبرز فى توليد أقوى الدوافع على الإطلاق ، لأن أية عقيدة سياسية مهما عظمت ، لا ترقى إلى مستوى عقيدة الجهاد التى يجد فيها المجاهد الوسيلة إلى الظفر بمرضاة الله ، وإلى دخول جنة عرضها السموات والأرض ، وأيضًا فى تنزيه المقاتل عن دوافع المفاخرة أو حب الظهور أو الرغبة فى الثناء ، فهو لا يستحق الجنة ، ولا يجدر بها إلا إذا كان جهاده خالصًا من أجل إعلاء كلمة الله .

ثالثًا : توفر النظرية الإسلامية للمجاهد رصيدًا هائلاً لا ينفد من الدوافع النفسيّة والمعنوية : فكل الدول تعمل على تنمية « دوافع الوطنية » فى نفوس أبنائها منذ نعومة أظفارهم لكى يقف الجندى مدافعًا عن وطنه المهدد بالخطر ممتلئ النفس بالعاطفة الوطنية ومستعدًا للتضحية فى سبيله، لكن ما « الوطنية » إلى جانب « إعلاء كلمة الله » إذا كانت النفس يزيدها حبّ الوطن قوة بمقدار ما فى الوطن كله من قوة ، فما أكثر ما يزيدها الإيمان بالوجود كله من قوة .

فالمجاهد دائم الثقة فى نصر الله لجنده الذين يقاتلون فى سبيله ويقومون على مبادئه، واطمئنانه إلى وعده جل وعلا (لهم) بالنصر، ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** (٤٠) ﴾ [الحج] ، ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** (٧) ﴾ [محمد] ، ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** (٤٧) ﴾ [الروم] ، ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ** (١٧١) **إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ** (١٧٢) **وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** (١٧٣) ﴾ [الصافات] .

وهكذا يقف الجهاد . . . ليس غارة ولا عدوانًا ولا إرغامًا على اعتناق الدين ، وإنما هو فلسفة وعقيدة قتالية شاملة للمسلم ، ولا يمكن للمسلم أن يعيش فى عصر (الصراع الأيديولوجى) بدون عقيدة دافعة .

الإسلام لم يقم بالسيف :

إن مفهوم الجهاد قد ارتبط فى أذهان الكثيرين باستعمال السيف ، والأمر ليس كذلك، فمفهوم الجهاد أوسع وأشمل من السيف ، وما السيف إلا كمبضع الجراح ، حين تستنفد كل وسائل العلاج الأخرى ، ويظهر أن الداء خطر على صاحبه ، وعلى مجتمعه ، ويحتاج إلى بتر .

وعندما كانت تتاح للرسول ﷺ أية وسيلة لتجنّب الحرب ، كان يرحب بذلك ، وموقفه فى صلح الحديبية الذى أغضب بعض الصحابة ـ دليل على ذلك ـ وفرية انتشار الإسلام بالسيف لا تنطلى على عاقل ، لأن طبيعة المبادئ الإسلامية تنكرها ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** (٦) ﴾ [الكافرون] . والدليل التاريخى ينكرها ، فوجود الكنائس فى كثير من بلاد العالم الإسلامى ، ووجود أقليات كثيرة غير مسلمة ، بل ووجود أكثريات غير مسلمة خضعت ثمانية قرون لحكم المسلمين ، ولم ترغم على الإسلام كما فى الهند ، كل ذلك يفضح الأكذوبة التى ربطت بين انتشار الإسلام وبين السيف ، وهى أكذوبة متعمدة لكى يغمد المسلمون سيوفهم ، ويذبحهم من يشاء فى ظل غيبة العقيدة القتالية .

على أن الأمر يتضح أكثر إذا قارنّا بين سلوك المسلمين فى إسبانيا مع النصارى ، وسلوك النصارى مع المسلمين عندما سقطت غرناطة على يد (فرديناند وزوجته إيزابيلا) وما تلا ذلك من عقد محاكم التفتيش الرهيبة ، وأكثر من هذا فإن شأن العقيدة ـ كل عقيدة ـ ألا تنتصر بالسَّيف ، إنها قد تخضع الناس سياسيًا أو عسكريًا ، لكن السيطرة على القلوب والعقول تحتاج إلى وسائل أخرى غير السيف ، ولها لغة أخرى يمكن

مخاطبتها بها ، وهذا ما فعله التجَّار المسلمون بسلوكهم الطيب عندما نجحوا فى كسب الملايين فى جنوب ووسط آسيا ، وإفريقيا .

ويوضح فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى (المدير السابق للوعظ بالأزهر ، وإمام أهل السنَّة ـ بالجمعية الشرعية ـ بمصر) وظيفة السيف فى (الجهاد الإسلامى) فيقول :

إن الإسلام لم ينتصر بالسيف ، وإنما انتصر على السيف ـ بل إنه هو الذى منع السيف ، والقرآن يكرر دائمًا ألفاظ السلام ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ، ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الأنفال : ٦١] ، والله سمانا المسلمين رمزًا للسلم، والسلام من أسماء الجنة (دار السلام) ، ولكن كل ما هو مطلوب منا هو الدفاع عن النفس وعن الدين والعرض والمال والذرية ، وقد يطرح علينا سؤال هو : من أين جاءت فكرة أن الإسلام قام بالسيف ؟ الردّ على هذا السؤال سهل جدًا، فإننا إذا نظرنا إلى بعثة رسول الله ﷺ ، وقسَّمنا السنين والأيام فسنجد أن الأعوام المكية الثلاثة عشر الأولى لم يحدث أن رفع الإسلام عصًا أو سيفًا بل كان كل من ينتمى للإسلام يُهان ويُضرب ويُؤذى دون أن يرد أحد منهم إذعانًا لأمر السماء ﴿ **فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ** ﴾ [البقرة : ١٠٩] ، وكلنا طبعًا يعلم مدى ما تعرض له بلال وعمار بن ياسر وعائلته وغيرهم ممن أوذوا فى أنفسهم وأموالهم ، ومن هاجر إلى الحبشة وتركوا ديارهم وهاجروا إلى المدينة أيضًا تاركين أموالهم وأهليهم ، فلما ذهب رسول الله ﷺ والمهاجرون إلى المدينة كان هناك مبررًا للسيف وذلك من خلال تسع وعشرين غزوة وثلاثمائة سرية ، وكانت هذه الغزوات والسرايا كلها إما للدفاع عن النفس ، وإما لنكث العهد ، وإما لردّ الفتنة عمن آمنوا .

فلو حللنا أية غزوة من الغزوات نجد سبيلها لا يخرج عن هذه الأهداف الثلاثة ، فمثلاً بالنسبة للغزوة الأولى وهى بدر نجد أن الصحابة تركوا أموالهم فى مكة قسرًا وأهليهم قسرًا وديارهم قسرًا ، فأول آية فى السماح بالحرب كانت ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** ﴾ [الحج]. أما لماذا أذن الله بالقتال ؟ فقد أجاب الله عن ذلك فى آية ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا** ﴾ [الحج : ٤٠]

أى كأن الله يقول إن الإسلام لو ركن إلى الاستكانة والضعف فلن تقوم له قائمة

ولن يبقى عابد لله فى الأرض ، فلابد أن نسلح المؤمن الذى لم يعتد بقوة ، وأن نأذن له فى القتال طالما أنه غير معتد، ودليل ذلك آية سورة البقرة : ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)** ﴾ [البقرة] ، فأذن الله فى القتال ضد من يقاتل الإسلام، والآية الثانية تقول: ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

وذات مرة اتهم الكفار المسلمين بأنهم قتلوا أفرادًا منهم فى الشهر الحرام،وكان ذلك فى خلال إحدى السرايا ـ وكان شهر جمادى (٢٩ يومًا) وظن المسلمون أنه ثلاثون ، فوقعوا رغمًا عنهم فى هذا الخطأ مما أدّى إلى أن كفار قريش نددوا بهذه العملية ، فنزل قوله تعالى يبين مدى جرم هؤلاء الكفار بقوله : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ** ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، إذ القتال فى الشهر الحرام ذنب كبير عند الله ولكن إخراج المسلمين من المسجد الحرام أكبر عند الله ، وفتنة المسلمين أكبر كذلك .

وهناك ردّ أيضًا منا على هذا الاتهام : إذا كان الإسلام فقد قام بالقوة ، فلماذا بقى الإسلام بعد زوال هذه القوة ؟ بل إننا نجد حتى الآن المئات والألوف يدخلون فى الإسلام من أفريقيا وأوربا وآسيا وأمريكا وغيرها، فهذا معناه أن الإسلام دين العقل ، وهو الدين الملائم للفطرة ، وأن ما قام من حروب فى الصدر الأول للإسلام إنما كان ـ كما ذكرنا ـ لإحدى ثلاث: إما للدفاع عن النفس وإما لنكث العهد، وإما لرد العدوان.

الدعوة قبل السيف :

ومن أبرز الأدلة على أن الجهاد يقصد به الدعوة ، ويرتبط بها ، ولا يرتبط بالسيف إلا عند الضرورة القصوى ، إن الإسلام حث على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ، وحتى عند اللجوء إلى حالة القتال بالسيف أوجب الإسلام (الدعوة) قبل القتال ، فقد كان المسلمون يمتنعون عن القتال إلا بعد القيام بالدعوة ، وتكرارها مرات ومرات ، ويرى جمهور العلماء أن الدعوة واجبة قبل القتال مرة واحدة، ومستحبة مرة أخرى . أما القتال قبل الدعوة فهو محرم إلا إذا بدأ الكفار هجومهم على المسلمين فإنه يجب قتالهم فورًا وبدون دعوة ، وقد قال بهذا الرأى الشوكانى عند إيراده حديث سليمان بن بريدة ، ومنه قوله ﷺ : « ثم ادعهم إلى

الإسلام » (١) . فذكر وجوب دعوة الناس مطلقًا لمن بلغتهم الدعوة أو لم تبلغهم ، وبه قال الإمام مالك ويؤيده حديث فروة بن مسيك قال : قلت : يا رسول الله ، أأقتل بمقبل قومى ومدبرهم ؟ قال: « نعم » ، فلما وليت دعانى فقال : « لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام » .

ويرى ابن قدامة صاحب « المغنى » ، والإمام أحمد فى رواية عنه ، أن الدعوة بعد عصر الفتوحات قد بلغت كل الناس، بعد أن أظهر الله الدين ودخل الناس فى دين الله أفواجا، فواجب الدعوة مؤدى والتبليغ وقع ، فليس من الواجب دعوتهم قبل القتال.

ومع ذلك فالجمهور أجمعوا على أنه من المستحسن دعوة الناس قبل القتال علموا بالدعوة أو لم يعلموا ، أما إذا تأكدنا من عدم علمهم بالدعوة أو علمهم بها مشوَّهة من خلال كتابات أعدائها فإن إعلامهم بها قبل القتال يصير واجبًا ؛ لأن الدعوة ـ هى الهدف، أما القتال فهو آخر الوسائل ، بل هو مجرد إزاحة للعقبات ، وليس وسيلة الإيمان والإقناع بدليل أن من حقهم أن يرفضوا الدعوة بعد سماعها ، ويعقدوا مع المسلمين اتفاق مصالحة .

بواعث الجهاد الإسلامى :

لقد حاول المستشرقون ـ وتلامذتهم ـ تشويه بواعث الجهاد الإسلامى ، تارة بجعله مجرد دفاع سلبى ، وتارة بجعله عملاً وحشيًا لإرغام الناس على الإسلام ـ وهم مخطؤون فى كل من النظريتين ، فبواعث الجهاد الإسلامى بواعث حضارية وشمولية ومتصلة بطبيعة الرسالة الإسلامية كلها .

ونترك للدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان (الكاتبُ السعودى ، والأستاذ بجامعة الإمام ومحقق كتاب الاجتهاد فى طلب الجهاد لابن كثير) إيضاح هذه البواعث وتفنيد الادعاءات فيقول : « حينما فرض الإسلامُ الجهاد ورغَّب فيه ، وأجزل الثواب للشهداء بالخلود فى جنات النعيم ، فإن ذلك كله لم يكن لكى يتخذ المسلمون من الجهاد وسيلة للعدوان ، ورغبة فى تحقيق المآرب الشخصية ، وإنما ذلك استنهاضًا لهمم المسلمين لحماية الدعوة الإسلامية من أعداء الله والعمل على نشر رسالة الإسلام الكبرى ، رسالة الهداية والحق والعدل التى أخرج الله بها الناس من الظلمات إلى النور ، ومن

---

(١) مسلم (٢/١٧٣١) فى الجهاد والسير ، باب : تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها .

عبودية العباد إلى إفراد العبادة والألوهية لله وحده وليس لأحد سواه .

على أن أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم يسعون جاهدين للعمل على تشويه صفحة الجهاد المشرقة فى الإسلام بشتى الوسائل والطرق ، فيما يسعون إليه من أساليب الغزو الفكرى الرخيص الذى يستهدفون منه زعزعة إيماننا بعقيدتنا وتشكيكنا فى مبادئنا وقيمنا الإسلامية السامية فى المفهوم العصرى الضيق للحرب الدفاعية زاعمين « أن أحداث الجهاد الإسلامى كانت لمجرد صد العدوان من القوى المجاورة للوطن الإسلامى» وأنه ليس عقيدة حضارية قتالية ، كما زعموا أن الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة ، والمستشرقون الخبثاء يعرفون جيدًا أن هذه ليست هى الحقيقة ، ولكنهم يشوهون (بواعث الجهاد الإسلامى) بهذه الطريقة ، ومن المؤسف أن بعض الباحثين الإسلاميين المعاصرين سار فى ركاب هذا الهجوم الاستشراقى الماكر ، وليس لهم غرض من ذلك سوى تعطيل فريضة الجهاد وصرف أنظار المسلمين عنه .

ولا شك أن هذه التصورات ـ كما يقول المرحوم سيد قطب ـ تنم عن قلة إدراك بطبيعة هذا الدين وبطبيعة الدور الذى جاء ليقوم به فى الأرض كما تشى بالهزيمة أمام ضغط الواقع الحاضر ، وأمام الهجوم الاستشراقى الماكر على الجهاد الإسلامى .

ذلك لأن الشواهد القرآنية التى تدعو إلى الجهاد ، والأحاديث النبوية التى تحض عليه ، والمسيرة الخيرة للجهاد الإسلامى فى سبيل إعلاء كلمة الله . كل ذلك يكشف لنا النقاب بشكل واضح عن زيف الأقاويل التى يرجف بها المستشرقون ومن لفَّ لفهم بغية النيل من صفحات الجهاد الإسلامى الناصعة المشرقة التى تحفل بصور حية للبطولة والفداء ، والتعطش للشهادة ، وخوض غمار المعارك فى سبيل إعلاء كلمة الله ودحر الكفر والباطل ، فمن ذلك ما كان من الغلامين (ابنىْ عفراء) يوم بدر ، يروى البخارى ومسلم « عن عبد الله بن عوف قال : بينما أنا واقف فى الصف يوم بدر ، نظرت إلى يمينى وعن شمالى فإذا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت لو كنت بين أضلع منهما ، فغمزنى أحدهما فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم ، ما حاجتك إليه يا ابن أخى ؟ قال : أخبرتُ أنه يسب رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منَّا ، فتعجبت لذلك فغمزنى الآخر، فقال لى مثلها ، فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يجول فى الناس ، فقلت ألا إن هذا صاحبكما الذى سألتمانى ، فابتدراه بسيفهما ، فضرباه حتى قتلاه » ـ وفى

رواية البخارى « فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه ، وهما ابنا عفراء » (١) .

ومن الغريب أن تحاكم الفتوحات الإسلامية وسياسة الجهاد فى الإسلام بينما ينسى بعضهم ـ عن عمد ـ الفروق الحضارية الكبيرة ، والفروق الإنسانية والأخلاقية بين فتوحات الإسلامية السامية ، وبربرية الحروب الصليبية وحروب أوربا الاستعمارية الحديثة ، إنه الفرق نفسه بين أخلاق صلاح الدين الأيوبى (الفروسية) ، وبين أخلاق ملوك أوربا وقطاع طرقها (الوحشية والدموية) .

المعذورون من الجهاد :

عرض القرآن لبعض المعذورين فى قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١)** ﴾ [التوبة] ، فكل من يقعده الضعف ـ بصوره المختلفة ـ ومن يقعده المرض ، كالعمى والعرج وغيرهما من الأمراض والعاهات المقعدة ، كل هؤلاء معذورون ، وكذلك من يقعده العوز والفاقة ، ولا يجد له الحاكم ما يحمله عليه ، كما أن من المعذورين من افتقدوا شرطًا من شروط الأهلية للقتال .

ويُلحق الشيخ محمد بن ناصر الجعوان (مدير التوعية الإسلامية بوزارة الدفاع بالسعودية) بهذه الأنواع ـ الآنفة الذكر ـ الأنواع التالية :

صاحب الدَّين إذا لم يأذن له الدائن لأن الجهاد حق لله ، والدَّين للإنسان فلا يخرج خوفًا من أن يُقتل أو يخرج بماله فينفقه فى القتال ، وهو مَدين ، والقاعدة عند الفقهاء : أن حق الله مبنى على التسامح وحق المخلوقين مبنى على المشاحة .

ومثله العالِم الذى لا يوجد غيره فى البلد لأنه لو قتل لافتقر الناس إليه حيث لا يمكن أن يحل أحد محله فإذا كان ليس فى بلاده أفقه منه فلا يجب عليه الخروج نظرًا لحاجة المسلمين إليه .

ومن له أبوان أو أحدهما ولم يأذنا له ، فهذا لا يخرج إلا بأمر منهما إلا فى حالة الوجوب العينى ، وفى (البخارى) أن رجلاً جاء يستأذن رسول الله ، فقال له : أحىّ والداك ؟ » قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد » (٢) .

---

(١) البخارى (٣١٤١) فى فرض الخمس ، باب : من لم يخمس الأسلاب ، ومسلم (٤٢/١٧٥٢) فى الجهاد والسيرة ، باب : استحقاق القاتل سلب القتيل .

(٢) البخارى (٣٠٠٤) فى الجهاد والسير ، باب الجهاد بإذن الأبوين .

ومثلهم من المعذورين العبيد ، سواء كانوا عبيدًا بالمعنى القديم أم بالمعنى الحديث ، حيث يمنعون لخضوع أمتهم أو جماعتهم للاستعمار الخارجى أو لحكومة مستبدة .

الطاعة واجبة للقائد :

وسواء كان القائد تقيًّا أم فاجرًا فإن غزو الكفار والذود عن الحياض واجبان معه ، وليس لأحد أن يتقاعس تحت أية حجة من الحجج إذا كان الأمر جهادًا فى سبيل الله ، وقد روى أبو داود بإسناده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برًا كان أو فاجرًا » (١) ، وبإسناده عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة من أصل الإيمان : الكف عمن قال لا إله إلا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال ، والإيمان بالأقدار » (٢) ، ولأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضى إلى قطع الجهاد وظهور الكفار على المسلمين واستئصالهم وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم قال الله تعالى : ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ** ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

الإعداد فرض :

وقد فرض على كل مسلم (فرض عين) أن يساهم قدر استطاعته فى الإعداد للجهاد، وهو فرض عين ، فالأمة المسلمة أمة مجاهدة دومًا فى حدود ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ومن صور الإعداد : (الإعداد المعنوى والروحى) ببيان ما ينتظر الشهداء عند الله، وما يتطلبه الحفاظ على الوطن والعرض والمال، ومنه : (الإعداد العسكرى) تلبيةً لقوله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الانفال : ٦٠] ، ومن الإعداد ـ كذلك ـ الإعداد (الاقتصادى) ويقتضى ذلك إعداد (الأغذية) المطلوبة للمعركة ولمن خلفها من المحتاجين، وبقية المواطنين، مع تقدير أبعد الاحتمالات، فى المدة والمشقة والاستهلاك، ومع مراقبة البائعين ، وأهم من ذلك الاعتماد على الإنتاج الذاتى ، وعدم ترك الأمور فى يد الأعداء .

ومن صور الإعداد ـ أيضًا ـ (الإعداد الاجتماعى) ، بإشاعة روح المسؤولية والمشاركة والحذر من الشائعات ، وتطهير المجتمع من صور التحلل والفساد التى تناقض

---

(١) أبو داود (٢٥٣٣) فى الجهاد ، باب : فى الغزو مع أئمة الجور ، وضعفه الشيخ الألبانى .

(٢) أبو داود (٢٥٣٢) فى الجهاد ، باب : فى الغزو مع أئمة الجور ، وضعفه الشيخ الألبانى .

روح الجهاد ، وكذلك يجب العمل على (الإعداد العلمى) الذى أصبح (كما يقول المقدم الشيخ محمد الجعوان) ضرورة من ضرورات العصر لأفراد الأمة كلها .

ويعتبر إنشاء المدارس والكليات العسكرية ومراكز التخطيط الاستراتيجى والعسكرى من أهم صور الإعداد العلمى المتصل بالجهاد ، والمعروف أن لكل زمان أسلحته ، وبالتالى فالإعداد العلمى يخضع لمقاييس العصر ، وبمقدار تفوقه على أسلحة العصر يكون تحقيقه للشروط الإسلامية ، كما أنه يدخل فى هذا الإعداد بناء المصانع الحربية ، وسائر الأجهزة التى تغنى الأمة عن الاستيراد ، وتحول بينها وبين الذلّ على أبواب أعدائها ، وربط سلامتها برضاهم عنها ، ولقد أصبح إقامة المصانع الحربية ـ بسائر أشكالها ـ من أهم حاجات المسلمين المعاصرة ، فهى فرض عين على أولى الأمر ، وفرض كفاية على الشعب إلا لأهل الخبرة فهى فرض عين بالنسبة إليهم ـ أيضًا .

أخلاق المسلمين الحربية :

كانت القوانين العسكرية فى العصور القديمة والوسيطة تعتبر الحرب قائمة بين جميع رعايا الدولتين المتحاربتين ، رجالاً ونساءً وصغارًا وشيوخًا ، ويترتب على ذلك (كما يقول المقدم الشيخ محمد الجعوان) ذبح من ظفر به العدو ، أيًا كان وضعه ، ومع مطلع العصر الحديث تغيرت الأحوال فأصبح العداء محددًا بين الدولتين دون رعاياهما ، كما أصبح من الواجب احترام حرية الأملاك والأشخاص غير المحاربين المشتركين فى القتال فعلاً ، وهذا التحول ـ للأسف ـ لم يتجاوز ـ فى الأغلب ـ حدود الشعارات والاتفاقات ، ولم يطبق عمليًا (وينظر ما فعلته إسرائيل فى عهد مناحم بيجن فى مخيمات الفلسطينيين فى لبنان) .

أما فى الإسلام فمنذ أربعة عشر قرنًا ، وهو يقنّن الحروب ويضع لها ضوابط ، ويحصرها ، وكأنه يتمنى أن لا تكون ، وقد وضع الإسلام (أخلاقًا حربيةً) يلتزم بها المسلمون ، وهى تلزم المحاربين المسلمين بعدم الإحراق والتخريب والتدمير ، وبعدم الاعتداء على الشيوخ أو الأطفال أو النساء إلا المقاتلين منهم ، وبعدم الاعتداء على الأعراض ، وعدم الاعتداء على بيوت العبادة ، وعدم المُثْلة بأحد إلا فى حدود المعاملة بالمثل والعفْو أولى، وعدم قتل المستأمنين والسفراء (والدبلوماسيين) والرسل ، والوسطاء الدوليين ، ونحوهم .

وقد لخص الخليفة الراشدى الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه أخلاق الجهاد الإسلامى ـ فى عشر خصال وردت فى خطبته التى ودَّع بها جيش (أسامة بن زيد)، قال أبو بكر :

يا أيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى :

ـ لا تخونوا ولا تُغلُّوا ،

ـ ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ،

ـ ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا ،

ـ ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ،

ـ ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوه ،

ـ ولا تقطعوا شجرة مثمرة ،

ـ ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة .

ـ وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع . . فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له .

ـ وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شىء فاذكروا اسم الله عليها .

ـ وتلقون أقوامًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصا فاخفقوهم بالسيف خفقًا . اندفعوا باسم الله » .

« وهذه الأخلاق الحربية التى حصرتها خطبة أبى بكر الصديق ، مضافًا إليها واجب الدعوة قبل القتال ، هذه الأخلاق وهذا الواجب كانا وراء ما وصلت إليه البشرية ـ أخيرًا ـ من بعض قوانين معاملة المدنيين أثناء الحرب ، ومن ضرورة الإعلان بالحرب . وكما يحدثنا المستشار القانونى بالرياض الأستاذ منير حسين الأصمعى ، فإن مبادئ الأخلاق تقضى على الدول بألا تأخذ إحداها الأخرى على غرة بمباشرة الأعمال الحربية ضدها دون إخطار أو إنذار سابق .

ولقد تناول مؤتمر لاهاى لسنة ١٩٠٧ ضمن ما تناوله مسألة كيف تبدأ الحرب ، وانتهى فى ذلك إلى إبرام اتفاقية بشأنها ـ (الاتفاقية الثالثة) ـ تقرر فيها ما يلى :

أولاً : يجب ألا تبدأ الأعمال الحربية إلا بعد إخطار سابق لا لبس فيه ، ويكون هذا الإخطار إما فى صورة إعلان حرب مسبب أو فى صورة إنذار نهائى يذكر فيه اعتبار الحرب قائمة بين الطرفين إذا لم تجب الدولة الموجه لها الإنذار طلبات الدولة التى توجهه (مادة أولى) .

ثانيًا : يجب إبلاغ قيام الحرب دون تأخير إلى الدول المحايدة ، ولا يترتب على قيام الحرب بالنسبة لهذه الدول أىّ أثر إلا بعد وصول الإبلاغ لها ولو تلغرافيًا ، إنما ليس للدول المحايدة أن تحتج بعدم وصول الإعلان لها إذا ثبت علمها بقيام الحرب . (مادة ثانية) .

ومع ذلك فليس هناك قانونا ما يمنع من أن تفاجئ دولة غريمتها بالأعمال الحربية عقب الإعلان مباشرة ولو بدقيقة واحدة ، وهذا ما حدث من ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية وما حدث أيضًا من اليابان عند تدمير الأسطول الأميركى فى ميناء (بيرل هاربر) وبعض قطع الأسطول البريطانى فى المحيط الهادئ .

ويضاف إلى مؤتمر لاهاى لسنة ١٩٠٧ ـ اتفاقية جنيف المبرمة سنة ١٨٦٤م والمعدلة بمعاهدة سنة ١٩٠٦م ثم باتفاقية ٢٧ يوليو ١٩٢٩م ، وأخيراً باتفاقية ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٩م ، وكلها اتفاقيات تتعلق بحقوق المرضى والجرحى والأسرى ، لكن المشكلة أن القليل من بنود هذه الاتفاقيات هو الذى يلقى الاحترام والتنفيذ .

الإنفاق من أبواب الجهاد :

إن كلمة (الإنفاق) لم تعد تعنى بعض الصدقات أو الملابس القديمة أو الدابّة التى يركبها المجاهد ، فالجهاد اليوم فى حاجة إلى مصانع للذخيرة وللسيارات العسكرية والطائرات والصواريخ ، ومجاهد اليوم أصبح (المال) ـ فى عصر شيوع السلاح وانتشاره ـ وسيلة أساسية للجهاد ، فالمال نفسه أصبح وكأنه سلاح فعال عندما يحسن المسلم استغلاله .

ومن هنا ، وعند الحديث عن الجهاد ، لا بُدَّ أن نربطه بالإنفاق فى سبيل الله ، فهما وجهان لعملة لا ينفصلان ، وعن هذه الأهمية للإنفاق يحدثنا الدكتور محمد رأفت سعيد (الأمتاذ بكلية الشريعة بالرياض) فيقول : إنَّ الإنفاق فى سبيل الله هو خير وجوه الإنفاق وهو من أهم صور الجهاد ، وبه تبلغ دعوة الله إلى العالمين ، وبه تُصان الأعراض ، وتُصان الحرمات . من أجل هذا كان البخل فى هذا الوجه خطيراً على النفس البخيلة **﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ﴾** [محمد : ٣٨] .

فإذا لم يتم الإنفاق السخى فى هذا الميدان فكيف يواجه العدو ؟ إنه سيواجه مواجهة ضعيفة ، فإذا تغلب العدو كان فى غلبته ضياع كل شىء ومنه المال الذى بخل

به الناس ، فالبخل عاد على البخيل بفقد ماله ، والذل من قبل عدوه ، والاعتداء على حرماته .

وأما الذين يقدمون أموالهم فينفقونها فى هذا السبيل ، فإن الله تعالى وعدهم بوعود كريمة كثيرة منها : أنه تعالى يتقبل هذا المال بقبول حسن يعطى مقابلُه جنته التى أعدَّ فيها لعباده ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؛ فهذا المال المبذول والنفوس المبذولة فى سبيل الله تجد هذه البشرى فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** (١١١) ﴾ [التوبة] .

ولذلك رأينا إقبال أصحاب النبى ﷺ على النفقة فى سبيل الله تعالى إلى حدّ أن أحدهم يجهز جيشًا ، ففى غزوة تبوك ـ وكانت فى زمان عسرة الناس ، وجدب من البلاد ـ حض الرسول ﷺ أهل الغنى على النفقة ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان ثلاثمائة بعير بأحلاسها ، وأقتابها وعدتها ، وألف دينار عينًا .

والمسلمون مطالبون بأن يُعدوا لعدوهم ما استطاعوا من قوة ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، فكيف يتم الإعداد بلا مال ينفق فى هذا المجال ؟!!

وقد تعددت مجالات الإنفاق فى سبيل الله فى هذه الأيام فالعدة فى حاجة إلى أموال كثيرة ؛ لأن أعداء الله تجهزوا بأجهزة ثقيلة مكلفة من طائرات ودبابات وصواريخ ومواقع وقنابل وغير ذلك من أجهزة ثقيلة مكلفة .

وصار اليوم الواحد الذى تتم فيه المواجهة مع أعداء الله مكلفًا غاية التكليف حيث إن هذه المعدات يعطب بعضها فى لمح البصر مما يحتاج معه إلى قطع أخرى ، وهكذا ، والمقاتلون فى سبيل الله فى حاجة إلى نفقة لهم فى ميدان القتال ، وفى حاجة إلى أدوات طبية ودم وغير ذلك .

كما أن أهلهم فى حاجة إلى ما ينفقون فى غيبة المجاهدين، وكل ذلك لا يتحقق إلا بالإنفاق السخى فى سبيل الله ، من أجل هذا كان دور المال مع الجهاد عظيمًا وخطيرًا ، وكان ترغيب القرآن الكريم للنفقة فى سبيل الله ترغيبًا يجعل المقابل ثمينًا ، إنه الخلود فى النعيم ، وإنه الثواب المضاعف الذى جاء فى هذا المثل الكريم : ﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ**

أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة] .

ويأتى المثل القرآنى الكريم ليبشر المنفقين فى سبيل الله بمضاعفة الحسنات ، فالحسنة التى تأتى نتيجة النفقة فى سبيل الله تضاعف وتنمى بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف .

ونسأل أنفسنا (والكلام للدكتور محمد رأفت سعيد) لماذا هذه المضاعفة للحسنات لمن أنفق فى سبيل الله ؟

والجواب على ذلك أن الذى ينفق فى هذا الميدان ثقته فيما عند الله تعالى أكبر من ثقته فيما تحت يده ، وإذا كانت الصدقة بصورة عامة دليلاً على صدق إيمان المنفق فهى هنا أقوى دليل على الثقة فى الله تعالى وقوة الإيمان به ، فإن المنفق فى سبيل الله يعلم أن ما ينفقه لن يعود إليه عودًا عاجلاً ، إنه سيبذل فى ساحة تشتعل فيها النار فرجاء الربح العاجل غير موجود ، ولولا صدق إيمانه وأنه سيربح نُصرة دينه ، وسيربح رضا ربه ، وسيربح جنةً عرضُها السموات والأرض ـ ما تقدم للنفقة فى سبيل الله ، فكان جديرًا بأن يشمله فضل الله الواسع .

وهذا يحتاج منا إلى تجديد معنى الجهاد فى قلوبنا ، فإن ساحات الجهاد فى سبيل الله ـ الآن ـ فى حاجة شديدة إلى المنفقين فى سبيل الله، فكم من مجاهدين يقفون فى وجه قوى طاغية تملك من العتاد ما لا يخفى على أحد، والمسلمون لا يجدون إلا أيديهم ممسكة ببنادق يخجلُ من ذكرها أمام المدافع المتطورة والدبابات والطائرات والصواريخ ، فهل أدى المسلمون واجبهم نحو إخوانهم المجاهدين فى كل مكان ؟ وهل وَعْدُ الله تعالى بقبول هذه الأموال وتنميتها لهم إلى سبعمائة ضعف قد وَجَدَ أثره فى قلوب المسلمين ؟

وهل ينتظر مع عدم الاستجابة لوعد الله ، والإمعان فى البخل بالمال فى هذا الميدان أن يتحقق نصر قريب ، إن شروط النصر التى يعلمها لنا القرآن الكريم والسنة المطهرة أن نُعد لأعدائنا ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل ، ويصل هذا الإعداد إلى درجة ترهب عدو الله وعدوَّنا ، فإذا كان فى استطاعتنا أن نجنّد من أموالنا وقوانا بنسبة ٩٠٪ من المطلوب ولم نقدم ـ مثلاً ـ إلا ستين فى المائة ، وبخلنا بالباقى ، فكيف نطلب المزيد من الله تعالى ، وعندنا مخزون رزقه ثلاثون فى المائة ؟! إنه تعالى سيسألنا عن بخلنا ، وعن إحجامنا ، وقد أعطانا ومنحنا .

وقد ربط القرآن بين الجهاد والإنفاق والنصر فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ إلى قوله : ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف] .

حكم الجهاد اليوم :

ثمة أسئلة كثيرة تطرح نفسها على العقل السليم ـ بإلحاح ـ فى هذه الأيام .

ما حكم الجهاد اليوم ؟ وهل الأمة كلها آثمة ؟ وكيف نجاهد ؟ وتحت راية من نجاهد ؟ وهل الجهاد بمعناه العسكرى قاصر على الجيوش النظامية أو هو حق لكل مسلم؟

ولأن أمتنا تعيش لحظة ضياع وقلق ، ويتداعى عليها الأعداء من كل أطرافها ، وتكاد تنعدم الثقة بين كثير من شعوبها وقياداتها السياسية والفكرية الرسمية،لهذا كله ـ ولغيره ـ أطيعت الأهـواء ، وأعجـب كل برأيه ، وتعدد الأطباء والفقهاء ـ بعلم وبغير علم ، بل وتصدَّر للأمر أحداث وأغرار من الشبان الذين لا تتوافر لهم أدنى شروط الاجتهاد ، فأساؤوا من حيث أرادوا الإحسـان، وأضروا بالإسلام من حيث أرادوا له النفع والخير.

وقد اتصلنا بفضيلة الشيخ بدر متولى عبد الباسط (العميد السابق لكلية الشريعة بالأزهر والأمين العام لموسوعة الفقه الإسلامى بالكويت) نسأله الرأى فى حقيقة الموقف الواجب على المسلم تجاه واجباته الجهادية ، فى هذه الأيام فقال فضيلته :

إننى أرى أن الجهاد (فرض عين) فى هذه الأيام ، نظرًا لحالة أمتنا الحضارية والعسكرية المتردّية ، لكنه (فرض عين) فيما يستطيع المرء أن يجاهد فيه ، لكى يرفع عبء التخلف والذل عن أمته ، فمن الممكن أن يكون الجهاد عن طريق تأدية كل مسلم لواجبه ، فكل مسلم مسؤول عن رعيته ، فالمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة ، والموظف راع ومسؤول ، والمدرس راع ومسؤول ، وأنا أركز على (المعلم) فى مراحل التعليم المختلفة ، فلو اعتقد كل مدرس أنه (مجاهد) وأخلص فى عمله ، وخرَّج لنا جيلاً من الشباب الصالح المثقف المتعلم ، فإننا نستطيع أن نطمئن إلى أننا خلال ربع قرن فقط نستطيع أن ننهض من وضعنا الحالى ، ونكون قد (جاهدنا) فى ميدان شامل وأكيد المفعول، وقد كنت فى سنة (١٣٩٣هـ) (والحديث للشيخ بدر عبد الباسط) أؤدى فريضة الحج ، ونظرت لجموع الحجيج وأنا على المروة ، فلم أستطع رؤية أى شبر من

الأرض بين الصفا والمروة ، فسألت نفسى أمام هذا المشهد الرائع : من المسؤول عن ضياع هذه الأمة ؟ هل العلماء أم هم الحكام ؟ إن بعض العلماء ـ بالتأكيد ـ مقصرون.

أما الحكام فهم يقولون : إننا نعمل على إراحة الشعب كما يريد ، وكأنهم يريدون القول : إن كل ما أبحناه من مباذل إنما هو برضا الشعب ، وهذا منطق غير مقبول ، والخلاصة أننا جميعًا مسؤولون ، وأن سفينة المسلمين واحدة ، وأن الجهاد ـ فى هذه الأيام (فرض عين) لإخراج المسلمين من الإبادة التى تراد لهم ، وأن كل مسلم مسؤول فى حدود طاقته ، وبحكم موقعه ، مع ضرورة التقيّد بالأساليب والطرق الصحيحة التى تضع كل شىء فى نصابه .

وفى (حوارنا) مع الشيخ محمد حسن الدريعى (من الإعلاميين الإسلاميين بالمملكة وأستاذ الثقافة الإسلامية بالكلية المتوسطة) قال : إننى أدعو المسلمين كلهم للجهاد ، لكن المشكلة هى ما الراية التى نجاهد تحتها ؟ فالتحدى الكبير الذى يواجهنا اليوم هو إعداد القيادات والإطارات المؤمنة المستوعبة لعصرها ، فالأمة لا يمكن أن تجاهد خلف السكارى ولا المخمورين ولا أعداء دينها ، وبالتالى فأنا أرى أن يكون الجهاد فى العصر الحديث على النحو التالى .

أولاً : المقاطعة العقدية والفكرية والثقافية للأفكار المخالفة للإسلام بحيث تتطهر بلادنا من الأفكار السلبية والمتخاذلة والمشككة فى ديننا وقيمنا الحضارية .

ثانيًا : أن ندعو إلى ديننا بسلوكنا ، وبصياغتنا للحياة على النمط الإسلامى الذى تنتظره البشرية .

ثالثًا : الدعوة إلى الإسلام بالكلمة وبالحكمة وبكل أساليب التأثير العصرى من خلال الأشكال المختلفة للتعبير والوسائل المتباينة للإعلام .

ويرى الشيخ (الدريعى) أننا لابد أن نعدّ أنفسنا للجهاد المسلح ؛ لأنه قد ثبت لكل صاحب عقلٍ أن أعداءنا من اليهود والصليبيين والشيوعيين لا يرضيهم أقلّ من إبادتنا أو تبعيتنا لأفكارهم ، وللوصول إلى هذه اللحظة الفاصلة لابُدّ لنا من أن نحقق الوسائل التالية الضرورية للنَّصر وهى : تحقيق حدّ كاف من الاتحاد بين المسلمين ، وأيضًا تحديد هدفنا من الجهاد ، الذى لا هدف لنا سواه ، وهو أن يكون فى سبيل الله ولإعلاء كلمته، وأخيرًا ضرورة التصنيع للسلاح والاكتفاء الذاتى به ، حتى لا تكون معاركنا انتحارًا ، حيث إنه بدون التصنيع يستطيع عدونا منع قطع الغيار فى أية لحظة والحكم

علينا بالهزيمة كلما رأى أننا على وشك الانتصار .

وعندما توجهنا إلى فضيلة الدكتور عبد العزيز السعيد (وكيل جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض) ببعض الأسئلة وعلامات الاستفهام التى تدور حول (الجهاد اليوم) ، قال لنا فضيلته : إننى كمسلم أؤمن بأنه من لم يغز ولم يحدث نفسه ـ فى هذه الأيام ـ بالغزو مات ميتة جاهلية، فثغور المسلمين فى حالة دفاع ولابد من إشاعة روح الجهاد، وعلى كل مسلم يتمكن من الجهاد أن يبادر إليه، ويصبح الجهاد بالنسبة إليه فى هذه الحالة فرض عين ، لكن إذا منعته دولته فالإثم عليها ، وعليه أن يجاهد بالمال ، فهو ـ فى هذا العصر الذى تباع فيه الأسلحة فى كل مكان ـ من أبرز سبل الجهاد.

وحتى إذا خفى أمر المجاهدين: هل يقاتلون باسم الله أو يقاتلون تحت راية أخرى؟ يجوز إعطاؤهم ، إلا إذا تيقّنا من أنهم يخضعون لعقيدة أخرى مخالفة للإسلام ، وأنهم ينوون إشاعة الفساد والانحلال . فهنا ـ فى هذه الحالة ـ لا يجوز إعطاؤهم .

ويضيف الدكتور (السعيد) أن هناك وسائل أخرى كثيرة ممكنة للجهاد فى هذا العصر ـ إذا تعذر الجهاد بالسلاح ـ ولا حرج عن الشخص المسلم إذا بقى مدة بدون استعمال سلاح ؛لأن الصحابة بقوا مدة طويلة فى مكة لا يقدرون على حمل السلاح ، والمهم أن نعدّ الأمة ليوم الجهاد، يوم تصفو القلوب، وتزكو العقول ، وتتّحد الصفوف، وترتفع فى داخل المشاعر والنفوس كلمة التوحيد ، ومن ثم يكون الطريق ميسورًا لرفع راية التوحيد فى أقطار الأرض : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** (٦٩) ﴾ [العنكبوت] .